انتقال إلى طمأنة المخلفين بأنهم سينالون مغانم في غزوات آتية ليعلموا أن حرمانهم من الخروج إلى خيبر مع جيش الإسلام ليس لانسلاخ الإسلام عنهم ولكنه لحكمة نوط المسببات بأسبابها على طريقة حكمة الشريعة فهو حرمان خاص بوقعة معينة كما تقدم آنفا وأنهم سيدعون بعد ذلك إلى قتال قوم كافرين كما تدعى طوائف المسلمين فذكر هذا في هذا المقام إدخال للمسرة بعد الحزن ليزيل عنهم انكسار خواطرهم من جراء الحرمان . وفي هذه البشارة فرصة لهم ليستدركوا ما جنوه من التخلف عن الحديبية وكل ذلك دال على أنهم لم ينسلخوا عن الإيمان ألا ترى أن ا لم يعامل المنافقين المبطنين للكفر بمثل هذه المعاملة في قوله (فإن رجعك ا إلى طائفة منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا معي أبدا ولن تقاتلوا معي عدوا إنكم رضيتم بالقعود أول مرة فاقعدوا مع الخالفين) .

وكرر وصف من (الأعراب) هنا ليظهر أن هذه المقالة قصد بها الذين نزل فيهم قوله (سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا) فلا يتوهم السامعون أن المعنى بالمخلفين كل من يقع منه التخلف .

وأسند (تدعون) إلى المجهول لأن الغرض الأمر بامتثال الداعي وهو ولي أمر المسلمين بقرينة قوله بعد في تذييله (ومن يطع ا ورسوله) ودعوة خلفاء الرسول صلى ا عليه وسلم من بعده ترجع إلى دعوة ا ورسوله لقوله (ومن أطاع أمري فقد أطاعني) .

وعدي فعل (ستدعون) بحرف (إلى) لإفادة أنها مضمنة معنى المشي وهذا فرق دقيق بين تعدية فعل الدعوة بحرف (إلى) وبين تعديته باللام نحو قولك : دعوت فلانا لما نابني قال طرفة : .

" وإن أدع للجلى أكن من حماتها وقد يتعاقب الاستعمالان بضرب من المجاز والتسامح .

والقوم أولو البأس الشديد يتعين أنهم قوم من العرب لأن قوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) يشعر بأن القتال لا يرفع عنهم إلا إذا أسلموا وإنما يكون هذا حكما في قتال مشركي العرب إذ لا تقبل منهم الجزية .

فيجوز أن يكون المراد هوازن وثقيف . وهذا مروي عن سعيد بن جبير وعكرمة وقتادة وذلك غزوة حنين وهي بعد غزوة خيبر وأما فتح مكة فلم يكن فيه قتال . وعن الزهري ومقاتل : أنهم أهل الردة لأنهم من قبائل العرب المعروفة بالبأس وكان ذلك صدر خلافة أبي بكر الصديق . وعن رافع بن خديج أنه قال : وا لقد كنا نقرأ هذه الآية (ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد) فلا نعلم من هم حتى دعانا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة فعلمنا أنهم هم وعن ابن

عباس وعطاء بن أبي رباح وعطاء الخراساني والحسن هم فارس والروم .

وجملة (تقاتلونهم أو يسلمون) إما حال من ضمير (تدعون) وإما بدل اشتمال من مضمون (تدعون) .

و (أو) للترديد بين الأمرين والتنويع في حالة تدعون أي تدعون إلى قتالهم وإسلامهم وذلك يستلزم الإمعان في مقاتلتهم والاستمرار فيها ما لم يسلموا فبذلك كان (أو يسلمون) حالا معطوفا على جملة (تقاتلونهم) وهو حال من ضمير (تدعون) .

وقوله (وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما) تعبير بالتوالي الذي مضى وتحذير من ارتكاب مثله في مثل هذه الدعوة بأنه تول يوقع في الإثم لأنه تول عن دعوة إلى واجب وهو القتال للجهاد .

فالتشبيه في قوله (كما توليتم من قبل) تشبيه في مطلق التولي لقصد التشويه وليس تشبيها فيما يترتب على ذلك التولي .

(ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع ا ورسوله ندخله جنت تجري من تحتها الأنهر ومن يتول نعذبه عذابا أليما [17]) جملة معترضة بين جملة (وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذابا أليما) وبين جملة (ومن يطع ا ورسوله) الآية قصد منها نفي الوعيد عن أصحاب الضرارة تنصيصا على العذر للعناية بحكم التولي والتحذير منه .

وجملة (من يطع ا) الخ تذييل لجملة (فإن تطيعوا يؤتكم ا أجرا حسنا) الآية لما تضمنته من إيتاء الأجر لكل مطيع من المخاطبين وغيرهم والتعذيب لكل متول كذلك مع ما في جملة (ومن يطع ا) من بيان أن الأجر هو إدخال الجنات وهو يفيد بطريق المقابلة أن التعذيب الأليم بإدخالهم جهنم .

A E